

مذيعة ووزيرة سابقة تتولى إعادة الثقة بالإعلام من البرلمان

درية شرف الدين

تؤمن بالحرريات وتبحث عن مصر طه حسين وأم كلثوم



• شرف الدين يعرفها المصريون منذ عقود طويلة كإعلامية مثقفة، وناقدة فنية، وكاتبة، ثم كمسؤولة عن الرقابة ووزيرة إعلام، وهي مواصفات جعلها وجها مقبولا للعب دور حقيقي في تطوير وإصلاح الإعلام المصري في المرحلة القادمة.



• البرلمانية المخضرمة ترى أن الإعلام قادر على بناء الشخصية الوطنية الواعية والمستوعبة لما يحدث من تطورات، لأن العالم، كما تقول، صار قرية صغيرة جدا، والمتلقي بات الآن من أن يتم خداعه.

قادر على بناء الشخصية الوطنية الواعية والمستوعبة لما يحدث في العالم من تطورات وتغيرات؛ فهي تؤمن بأن العالم صار قرية صغيرة جدا، وعلى أي مهتم بلعب دور وطني في مجال الإعلام مواكبة ما يحدث من تغيرات وتطورات، وأن يعي أن أفكار جوبلز -وزير الدعاية في عهد هتلر- لم تعد صالحة لشيء، وأن المتلقي صار الآن وأنبه من أن يتم خداعه.

وتشير رئيسة لجنة الإعلام والثقافة في البرلمان المصري، في تصريح بعد اختيارها لهذا المنصب، إلى أنه لا يمكن للإعلامي أن يقوم بدوره إلا إذا حصل على حقوقه الأساسية، والمتضمنة في إقرار قانون لتداول المعلومات، والعمل في ظل مجتمع مدني ووسط ديمقراطي، وشعوره بالأمان عند ممارسة عمله، ووجود جهة مستقلة بلجا إليها الإعلامي عند حدوث أي خلافات، مع ضرورة حصوله على تدريب خاص للإلمام بالقوانين ومواد الدستور والاتفاقيات الدولية المعنية بالإعلام. كما تؤكد شرف الدين أن وسائل الإعلام التقليدية لم تعد وحدها على الساحة، بعد سطوع مواقع التواصل الاجتماعي، بل صار لها دور قوي في التوعية بقضايا حقوق الإنسان، وفضيحة الرأي لن تسبب ضررا لأحد، وتسهم في خلق حالة من الوعي بالقضايا الوطنية.

صاحبة رأي

شرف الدين تؤمن بالحرية المطلقة، وتنشر مقالا أسبوعيا في صحيفة "المصري اليوم" المستقلة، تتناول فيه ظواهر ثقافية وفنية واجتماعية وهموما حياتية لدى المجتمع دون حسابات أو حواجز سياسية.

من بين مقالاتها الأخيرة مقالة عن التحرش الجنسي في مصر، وكيف صارت هذه الظاهرة محل وجع وطني. وقد روت مشاهدات أناس تعرضوا لمشكلات تتم عن انحدار اجتماعي غير مسبوقة.

ومنها أيضا مقال يحمل تفسيراً للتوجه الدعائي لنظام الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، عندما حول متحف أيا صوفيا إلى مسجد كنوع من التوظيف الشعبي للعاطفة الدينية، أوضحت فيه حكاية القديسة صوفيا وكيفية انتقال رفاتهما إلى إسطنبول، قبل أن تصف موقف أردوغان بأنه عمل استفزازي لا يليق برجل دولة، عليه أن يزن قراراته وسياساته بميزان الحكمة لتطور سياسات يسمح بتوسيع مساحة الحرية والتعبير عن الرأي وإحياء التجربة التعددية الإعلامية، ترى الإعلامية البرلمانية والبرلمانية أن الإعلام المصري

نحو قلوب الملايين. وبالفعل نجحت شرف الدين في ترسيخ حضورها التلفزيوني وصنع جماهيريتها الواسعة بعد أن طورت الفكرة لتستضيف نقادا لتحليل الفيلم وتقييم الأداء، ثم تستعين بمدراء تصوير وموسيقيين ومصممي ملابس وديكور وأساتذة تاريخ، ليتحدث كل منهم في تخصصه. شكل هذا الأسلوب سمة أكثر تميزاً لمتابعه سينما هوليوود، وأسهم في توسيع مدارك المشاهدين، ومنهم القدرة على استقراء الفن واستيعاب اتجاهات السينما العالمية الحديثة، لذا لم يكن غريبا أن تتناب الجمهور حالة من الغضب الشديد عند توقف البرنامج بعد أكثر من عشرين عاما، ما دفعها إلى القيام بتقديمه مرة أخرى على شاشة فضائية "دريم" الخاصة.

جاء الاحتكاك الأول للمذيعة بالعمل التنفيذي السياسي عندما اختيرت عام 1995 مديرة للرقابة على المصنفات الفنية، لكن لم يطل بها الحال أكثر من عام واحد نظرا لما اعتبرته تدخل مباشر في عملها، ومحاولة التدخل في قبول أو رفض مشاهد وأعمال فنية، وهو ما اشتتمت معه شبهة فساد، فسارعت إلى تقديم استقالتها.

عملت بعد ذلك وكبلا لوزارة الإعلام المصرية، وتولت الإشراف على القنوات المتخصصة، إلى جانب عملها الأكاديمي ونشرها عددا من المؤلفات المهمة مثل كتاب "السياسة والسينما في مصر" وكتاب "رحلة في عقل البابا شنودة".

ظل اسمها متكررا للطرح عند كل تعديل وزاري باعتبارها إعلامية ومثقفة وكاتبة رأي، ولها مقالات ومثقفة متميزة في معظم الصحف، حتى تم اختيارها في يوليو 2013 وزيرة للإعلام في حكومة حازم الببلاوي، عقب سقوط حكم الإخوان بعد انتفاضة 30 يونيو من العام نفسه، وظلت تدير الملف الأصعب بوعي وحكمة واتزان لحين انتهاء المرحلة الانتقالية بكل ما شهدته من أحداث وحروب إعلامية شرسة ضد الدولة المصرية.

يعتقد البعض أن استدعاء شرف الدين من خلال العمل البرلماني هو مراجعة وفرصة لتطوير سياسات يسمح بتوسيع مساحة الحرية والتعبير عن الرأي وإحياء التجربة التعددية الإعلامية، ترى الإعلامية البرلمانية والبرلمانية أن الإعلام المصري

المنظومة الإعلامية المصرية تُستَـيَر وفق تصور غير علمي بقي معتمدا لسنوات، حتى فقد الناس الثقة تماما في الإعلام، واضطرت الحكومة المصرية إلى إعادة وزارة الدولة للإعلام، ثم جربت محاولات جديدة لإرجاع تعددية الآراء والسماح باختلاف وجهات النظر

وقتها تأثرت بموقف صعب ترك بصمته الدامغة في نفسها، ودفعها دفعا إلى اعتبار التعليم والتدريب الدائم ضرورة حياتية لا تقبل تهوينا أو تاجيلا، ففي اختبارات القبول بالوظيفة نجحت في كافة الاختبارات وبت متميزة فيها، لكنها لم تكن بالتميز ذاته في نطق اللغة العربية.

ودفع ذلك الشاعر الراحل فاروق شوشة -وكان يتولى حينئذ مهمة اختبار المذيعات- إلى إخبارها بأنها متميزة في كل المهارات عدا اللغة العربية، وأهلها يوما واحدا للتكيف مع النطق الصحيح، وبالفعل قضت المذيعات الجديدة اليوم كله في التدريب على النطق وتكرار الحديث باللغة العربية حتى شعرت بتملكها نواصي الحديث، وهو ما أهلها في اليوم التالي للنجاح بتميز.

لم تمر سنوات قليلة على نالها في الإذاعة حتى تقدمت لإعلان في التلفزيون يطلب قراء نشرة أخبار، واختبرت ونجحت على الفور، وحازت ثقة وإعجاب كبار المذيعين.

الحاجة إلى عقل نقدي

بدأت خلال عملها دراسة النقد الفني بأكاديمية الفنون في القاهرة، لذا رُشحت سريعا لتقديم برنامج عن السينما الأجنبية كان من أفكار الناقد شريف رزق الله وحمل عنوان "نادي السينما".

وكان ذلك البرنامج بداية طريق المذيعات الشابّة.

وشعبية طاغية على كافة المستويات الاجتماعية جعلها وجها مقبولا للعب دور حقيقي في تطوير وإصلاح منظومة الإعلام المصري في المرحلة القادمة.

لا خلاف على أن الإعلام لا يمكن تحميل أزمته لوزارة بعينها أو ربطها بشخص ما منفرد، فلا الوزير الحالي ولا رؤساء الهيئات الثلاث الخاصة بالإعلام وحدهم مسؤولين عن انهيار جدار الثقة الشعبية بين المواطنين والحكومة، والمسألة أعقد من ذلك بكثير، وتحتاج إلى رؤية تؤمن بجسدي وأهمية حرية الإعلام في الدولة المصرية خلال المرحلة الراهنة.

رصيد شرف الدين من الجماهيرية مصدره في الأصل نجاحها في الدخول لكل بيت قبل أكثر من أربعين عاما، عندما قدمت برنامجا ناجحا هو الأشهر على شاشة التلفزيون المصري، قبل عصر الفضائيات، وهو برنامج "نادي السينما" الذي مثل أول إطالة حقيقية مباشرة للمصريين على السينما العالمية عبر الشاشة الفضائية.

يتذكر كاتب السطور وربما أبناء جيله كيف كانوا ينتظرون باشتياق شديد مساء كل سبت لمشاهدة فيلم أجنبي جديد، والاستماع لتعليق متميز ونقد واف من ناقد فني أو مثقف كبير تستضيفه مذيعة أنيقة هادئة لبقة، هي شرف الدين التي حصلت على بكالوريوس الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة القاهرة، ما منحها أن تكون على دراية سياسية واسعة.

كانت المذيعات الشابّة وقتها معروفة لدى معظم الأسر المتوسطة، وظلت وجها مقبولا واسما محبوبا على مدى عدة عقود، ما جعل تعيينها فيما بعد في عدة مناصب سياسية محل رضا وترحيب من الفئات الشعبية المختلفة. وحتى عندما تم اختيارها منذ حوالي شهر ونصف الشهر للتعين في مجلس النواب الجديد كان ذلك أيضا محل تقدير كبير.

استقلال الراهبة

تمثل شرف الدين نموذجا للإعلامي الصاعد إلى القمة اعتمادا على الكفاءة والمهنية والعمل الجاد والسعي الدائم للتفرد.

ولدت الفتاة المنتمية إلى عائلة من الطبقة الوسطى العليا التي اهتمت بالتعليم في مدينة دمياط شمال القاهرة في شهر مايو 1948، ودرست في إحدى مدارس الراهبات هناك، ثم انتقلت مع أسرته إلى مدينة المنصورة بمحافظة الدقهلية شمال القاهرة، والمعروفة باحتضانها لطبقة مثقفين ومبدعين متنوعي المآرب، ثم التحقت بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وظلت حريصة على عدم الانتماء إلى أي حزب أو تيار سياسي حتى تخرجت في الجامعة لتعمل بالإذاعة المصرية عام 1971 بناء على إعلان يطلب مذيعات جديدات لديهن تميز صوتي وقدرة على الترجمة.

مصطفى عبيد كاتب مصري

"الصمت موت" كما يقول الأديب الجزائري الراحل الطاهر جاووت، و"الصمت ليس سياسة" كما كان يكرر الصحافي المصري الراحل محمد حسنين هيكل، فليس للصمت نتيجة سوى المشكلة ولا يمنع أذنوبة ولا يني شائعة. وأن تسكت فإنك بذلك تفتح الباب لمحترفي التأثير الخطابي للعمل والتمدد والذبيوع. إلا تنطق فانت بذلك تمنح ميكروفونات الظلام المتاسلم فرصة للزقيق والانتشار، وأن تتواري عن القول وتتجنب الإطال وتتحاشن الحوار فانت أشبه بمن يفر من ساحة المعركة ويتخلى عن المسؤولية ويتجاهل الدور المفترض أن يقوم به.

البعض يعتقد أن استدعاء شرف الدين من خلال العمل البرلماني هو مراجعة لتطوير سياسات الإعلام، ما يسمح بتوسيع مساحة الحرية والتعبير عن الرأي، وإحياء تجربة التعددية الإعلامية

كان ذلك بيدن الإعلام الرسمي المصري منذ خلعت جماعة الإخوان المسلمين عن حكم مصر في يونيو 2013، لكن للأسف ظل تسخير المنظومة وفق تصور غير علمي يرى الصمت استسهالا ليقبى الأمر مقبولا ومعتمدا لسنوات حتى فقد الناس -العامه تحديدا- الثقة تماما في الإعلام، واضطرت الحكومة المصرية إلى إعادة وزارة للإعلام، ثم جربت محاولات جديدة لإرجاع تعددية الآراء والسماح باختلاف وجهات النظر في الفضائيات المملوكة لها مرة أخرى.

لكن الرقابة الذاتية السائدة في معظم المؤسسات هي الحاكمة، ما استدعى تغييرات وتحركات واسعة تستهدف استعادة الثقة مرة أخرى من خلال شخصيات لها شعبيتها وتقديرها وحضورها الثقافي في الشارع، وكان من إرصاصات ذلك اختيار درية شرف الدين رئيسة للجنة الإعلام والثقافة في مجلس النواب المصري.

ضيفة كل بيت

السيدة التي عرفها المصريون عقودا طويلة كمذيعة مثقفة وناقدة فنية وكاتبة أكاديمية متخصصة في الفن، ثم مسؤولة عن الرقابة، ثم وزيرة إعلام في فترة صعبة للغاية، تمتلك محبة كافية